مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، جوان 2022، صص: 199- 210

تاريخ الاستلام(2021/12/03)تاريخ القبول (2022/05/25)تاريخ النشر (2022/06/30)

مقصدية حذف المبتدأ والمفعول عند الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز

The purpose of the ellipse the subject and object of al-Jurjani through his book Evidence of inimitability

فاطمة الزهراء دريدش[1]، سبع بلمرسلي[2]

[1]جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، dridechenourelhouda9@gmail.com

[2]جامعة ابن خلدون- تيارت (الجزائر)، Belmorsli@hotmail.com

ملخص:

برز في المدارس اللّسانية الغربية اتّجاهان مختلفان في تناول النص وفهم المراد منه. الاتّجاه الشكلي والذي تبنته اللّسانيات البنيوية، والتي قامت بدراسة اللّغة كبنية مغلقة دراسة علمية موضوعية مجردة و أقصت كل الظروف والملابسات المرتبطة بإنتاج الخطاب، أما الاتجاه التواصلي فقد ظهر كردة فعل على الاتّجاه الشكلي، والذي حمل على عاتقه دراسة المنجز اللّفظي في سياق معين وقد انبثقت عن هذا الاتّجاه مجموعة من المناهج منها التيار التداولي. وتعد المقصدية محور الدرس التداولي ؛ فجميع مفاهيم التداولية تصب في قالب مقاصد الكلام، والتي انطلقت منها لفهم اللّغة من خلال سياقات الكلام، و إفهام المتلقي لنجاح العملية التواصلية، وهذا ما حرصت عليه البلاغة العربية . ويهدف هذا البحث إلى استجلاء مقاصد المرسل في أحد مباحث البلاغة العربية وهو الحذف والذكر عند أحد أبرز علماء البلاغة والإعجاز وهو عبد القاهر الجرجاني من خلال مدونته دلائل الإعجاز.

الكلمات المفتاحية: المقصدية، الحذف، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، المبتدأ، المفعول.

Abstract:

In Western language schools, two different trends have emerged in the approaching of text and understanding what it wants to communicate.

المؤلف المرسل: دريدش فاطمة الزهرة، الإيميل: dridechenourelhouda9@gmail.com

The formal tendency: which was adopted by structural linguistics, which studied language as a closed structure, an abstract objective scientific study by excluding all conditions and circumstances related to the production of speech. As for the communicative tendency, it appeared as a reaction to the formal tendency, which took charge of studying verbal production in a specific context. A set of approaches has emerged from this trend, among these approaches the pragmatic current. Purposes are at the heart of pragmatics. All the concepts of pragmatics follow in line with the objectives of speech, from which we started in order to understand language through contexts of speech, and understanding by the recipient for the success of the communication process, and this is what the Arab rhetoric has focused on. This research aims to elucidate the objectives of the sender in one of the research axes of Arab rhetoric, which is the ellipse and the evocation of one of the most eminent specialists in rhetoric and inimitability, Abd al-Qaher al-Jurjani, through his blog, the evidence of inimitability.

Keywords: the purpose, ellipse, Abd al-Qaher al-Jurjani, evidence of inimitability, subject ,object.

1-مقدمة:

يكتسي مصطلح المقصدية مكانة بارزة في الدراسات الحديثة حيث يشكل لب النظرية التداولية، والتي تمثل عملية إنتاج الملفوظات وطريقة اشتغالها من طرف المتكلم، ونقلها للسامع الذي يقوم باستنطاق مقاصد المتكلم.

ولقد كان لهذا المصطلح حضور مميز عند علمائنا القدامى في مدوناتهم التراثية أمثال عبد القاهر الجرجاني، ويسعى هذا البحث إلى توضيح ذلك من خلال مبحث الحذف والذكر في دلائل الإعجاز . وتبعا لهذا، فإنّ إشكالية البحث هي كالتالي: ما هي المقصدية التداولية لحذف المبتدأ والمفعول في كتاب دلائل الإعجاز؟

2- مفهوم المقصدية :

أ-المعنى اللّغوي:

ينتمي مصطلح المقصدية إلى الجذر اللّغوي (قصد) المكون من القاف والصاد والدال، يقال: قصد يقصد قصدا ومقصدا، ومقصد: مفرد مقاصد وهو مصدر ميمي قد يعبر عن اسم مكان على سبيل المجاز، والقصد: مفرد قصود، والمقصود: اسم مفعول؛ أي: الذي عني بالقصد. (1)

ومن معاني مادة (قصد) في المعاجم اللّغوية ما يلي:

-استقامة الطريق وسهولته: يقال: «طريق قصد أي: سهل مستقيم »، (2) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: 09]، أي: «على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة ».(3)

-**الاعتماد والأمّ والتوجه نحو الشيء**: يقول ابن فارس: «قصد: القاف والصاد والدال أصول ثلاثة يدل أحدها على إتيان الشيء وأمّه».[4]

-**القتل والإصابة:** « والأصل قصدته قصدا ومقصدا، إذا أصابه فقتل مكانه ».[5]

-**العدل:** كما في قول الشاعر:

عَلَى الحَكَمِ المَأْتِي يَوْمَا إذَا قَضَى * قَضِيَتَهُ أَلَا يَجُورَوَيَقْصِدُ**

أي: يعدل [6]

-**الكسر**: «تقصدت الرّماح: تكسرت، ورمح قصد سريع الانكسار، والرماح بينهم قصد، وشعر مقصد ومقطع، ولم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام، ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل».[7]

يتبين مما تقدم من كلام اللّغويين أن مادة (قصد) ومشتقاتها في اللّغة تتمحور معانيها حول: الاستقامة والاعتدال، الاعتزام والتوجه نحو الشيء، القتل والإصابة .

ب-المعنى الاصطلاحي:

أخذ مصطلح المقصدية قسطا كبيرا من الدراسة والبحث في المجال الفلسفي، فكان من أكثر المصطلحات شيوعا في الأبحاث الفلسفية المعاصرة، وقد اشتركت مجموعة من المدارس في دراسته لكن مدلوله وطريقة معالجتهم له اختلفت من مدرسة إلى مدرسة ويعود السبب في ذلك إلى اختلاف المرجعية المعرفية لكل فيلسوف، فهناك من ربطها بالوعي والشعور، وهناك من ربطها باللّغة والمعنى، وآخر ربطها بالفعل.

ويعد **جون سورل** من أبرز الفلاسفة انشغالا بالمقصدية تأليفا واحتجاجا، ومن أهم الفلاسفة الذين منحوا المقصدية بعدا تداوليا من خلال اهتمامه بقدرة العقل على تمثيل الواقع، وربطه للأفعال الإنجازية في نظرية أفعال الكلام بالمقصدية.[8]

ويرى سورل أنّ من أبرز سمات العقل أنّه يربطنا بالعالم الخارجي وهذه هي المقصدية فهي «الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم ».[9]

فالمقصدية عند سورل «هي صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله والإشارة إليها ؛فإذا كان هناك اعتقاد ما مثلا، فإنّه لا بد أن يكون خاصا بهذا أو بذاك، أو أن تكون الحالة كذا وكذا، وحين أشعر بالخوف فلا بد أن يكون خوفا من شيء ما أو من توقع حدوث شيء ما، وإذا كانت لدي رغبة لا بد أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أنّ شيئا يجب أن يحدث، وحين يكون لدي قصد معين يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما . وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات».[10]

يتضح من خلال هذا التعريف أنّ المقصدية عند **جون سورل** ذات صفة للظواهر والحالات العقلية، وهذا ما يبرر إدراجها ضمن فلسفة العقل، وأنّها تملك خاصية توجيه الحالات العقلية نحو العالم الخارجي، ومن مميزاتها أيضا أنّها تتعلق بموضوعات خارج ذاتها عكس فلسفة ديكارت .

وللمقصدية أهمية كبيرة في العملية التبليغية، فالمخاطب عندما ينتج خطابه فإنّه يهدف إلى تحقيق قصد معين في ذهن المخاطب، ولا يتعرف هذا الأخير على دلالة الخطاب ككل ما لم يتضح قصد المتكلم، وإذا حدث ذلك يكون قد توصل إلى فهم لغته، فالمفردات المجردة من القصد لا معنى لها.[11]

3-الحذف والذكر:

إنّ مبحث الحذف والذكر من بين المباحث التي يقوم عليها علم المعاني وقد نال نصيبا كبيرا من اهتمامات النحويين على وجه العموم، والبلاغيين خاصة حيث إنّ أي حذف يمس التراكيب اللّغوية ينتج دلالات و أسرارا بلاغية لا تنتج بالذكر والتوسع، لذلك نجد المتخاطبين يعمدون إلى حذف بعض العناصر في الكلام اعتمادا على قرائن مصاحبة تكون مرشدا للوصول إلى المعنى المبتغى من الخطاب «لأنّ القرينة شرط في صحة الحذف لأنّه مقترن بها أي غرض من أغراض أسلوب الحذف في المسند إليه والمسند والفضلة».[12]

ويعتبر الحذف والذكر من الآليات التي يستعين بها المخاطب لإبلاغ قصده إلى مخاطبه وتحقيق غرضه المرجو منه وهو الفهم والإفهام وبالتالي نجاح العملية التخاطبية، ويقابل الحذف عند القدماء ما سمي في الدرس التداولي: «بمضمرات القول، والذي يظهر في الخطاب الذي يجري بين أطراف هي المتكلم والمخاطب ضمن العملية التواصلية في مجراها التداولي، لكون هذه الآلية الخطابية لا تفهم حمولتها الدلالية إلا باقترانها بالسياق التخاطبي التداولي، والذي يضم أطراف الترسيمة التواصلية (المتكلم، المخاطب، والسياق الذي ينشأ فيه الخطاب)»[13].

4- مقصدية الحذف والذكر عند الجرجاني:

يعد الحذف أحد أنواع الانزياحات التي تمس التراكيب اللّغوية، والتي تميز بها العرب في استعمالاتهم، فقد وضعه عبد القاهر الجرجاني في المرتبة الثانية لمباحث علم المعاني؛ أي جعله بعد مبحث التقديم والتأخير، لأنّ المتكلم يبتدئ بصورة ذهنية عامة للكلام أولا، وهي صورة بنائية تضم فيها العناصر بعضها إلى بعض حسب تناسبها، وبعد هذا البناء والترتيب يأتي إجراء بعض التعديلات التي تتعلق بأركانها كالحذف أو الفصل والوصل أو الفروق وعليه لم يقدم الجرجاني الحذف على التقديم والتأخير.[14]

وقد استهل الجرجاني حديثه عن الحذف بذكر تعريفه وقيمته الجمالية حيث قال: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن».[15]

فالحذف له أهمية بالغة في الخطاب، وهو مظهر من مظاهر الكفاءة و الاقتدار اللّغوي لدى المتكلم، و التنبه له يكون من جهة المخاطَب، حيث يعمد المخاطِب إلى انتزاع أجزاء من الكلام يزداد بها المعنى تأثيرا من جهة، ومن جهة أخرى تزداد الرابطة التواصلية بروزا من حيث أنّ المخاطَب يسعى جاهدا إلى فك شفرات ذلك الحذف ومضمراته بسيرورة من الترجيحات والافتراضات، التي من شأنها أن تعينه في التأويل والوصول إلى المقصد المناسب للقول.

كما له أثره في النفس حيث ينشطها ويزيدها رغبة وشوقا للكشف عن الأسرار والمعاني وراء تلك المحذوفات ؛ لأنّ المتذوق للنصوص الشعرية والنثرية يمل ويضجر من السياقات الواضحة الجلية، ويميل ويولع إلى مثل هذه الانزياحات التي تحفزه للبحث والتعمق كونها تخلق جوا من المتعة.

وتتجلى المقصدية من خلال معالجة "عبد القاهر الجرجاني " لهذا الباب في عدّة مسائل:

1-مقصدية حذف المبتدأ:

من المتعارف عليه أنّ المسند إليه**(المبتدأ)** هو أحد ركني الجملة الاسمية لذلك كان وجوده ضروريا في الجملة، ولكن قد يلجأ المتكلم إلى التغييب لهذه الوحدة لمقاصد عديدة. وهو من أكثر المحذوفات وقوعا في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والنصوص الأدبية شعرها ونثرها، وأكثرها تأثيرا في المتلقي «ذلك أنّك حينما تباشر الخبر في القراءة تبدأ في التفكير في المحذوف السابق عليه مما يدعوك إلى العودة إلى الوراء للبحث بعد أن لم تستطع إيجاد الخبر بعد المبتدأ».[16] ومن النماذج التي أوردها الجرجاني في حذف المبتدأ قول الشاعر: [17]

هَلْ تَعْرِفُ اليَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَلَا * كَمَا عَرَفْت بِجَفْنِ الصَّقَلِ الخِلَلَا**

دَارٌ لِمَـرْوَةَ إذْ أَهْـلِي وَأَهْلُهُمُ * بالكَانِـسِيّة تَرْعَى اللّهْـوَ وَالغَزَلاَ**

حدث في هذا البيت عدول بحذف عنصر المبتدأ، «وقد ربط هذه الحالة العدولية بموقف خطابي عام يكمن في الوقوف على الأطلال وذكر الديار، إذ الشعراء في مثل هذا الموقف المشحون بالعاطفة الجياشة والانفعال القوي لا يتسع مجالهم الفكري والعاطفي لذكر جميع عناصر الكلام ولا سيما العنصر المدرك وهو (المبتدأ) فيحذفونه ويبدؤون بذكر العنصر الثاني المثير لمشاعره ومشاعر مخاطبه وهو(الخبر) الذي غالبا ما يكون دالا على ذكر اسم الحبيبة أو ديارها أو ما ينوب عنها تعبيرا عن لوعته وشدة شوقه إليها»[18] . وقول بكر بن النّطاح: [19]

العَيْنُ تُبْدِي الحُبَّ وَالبُغْضَا *** وَتُظْهِرُ الإِبْـرَامَ و النّقْـضَا

دُرَّةُ، مَا أَنْصَـفَتْنِي فِي الهَوَى *** وَلاَ رَحَمَتِ الجَسَدَ المُنْضَى

غَـضْبَى، وَلَا وَاللّه يَا أَهْـلَهَا *** لاَ أَطْعَـمُ البَارِدَ أَوْ تَرْضَى

فالشاعر في هذه الأبيات يتغزل بمحبوبته وحاله دال على الحب واللّوعة، وقد جرت العادة في مثل هذه المقامات أن يحذف المسند إليه (المبتدأ)، وموطن الحذف في صدر البيت الثالث في قوله **(غضبى)** وتقدير الكلام **(هي غضبى)** أو **(غضبى هي)**.

والملاحظ من خلال تحليل الشواهد السابقة أنّ عبد القاهر الجرجاني قد ركز على دور نفسية المخاَطب وفكر المخاِطب في إدراك القصد وفهم دقائق الحذف والوقوف على أسراره، وهذا ما بينه في قوله: « يقول في جارية كان يحبها وسعي بها إلى أهلها فمنعوها منه . والمقصود قوله (غضبى) وذلك أنّ التقدير (هي غضبى) أو (غضبى هي) لا محالة، ألا ترى أنّك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره؟ وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم ؟»[20]

وعلى ضوء ما تقدم في تحليل الشواهد والتي تحدث فيها عبد القاهر الجرجاني عن أقطاب العملية التواصلية، فإننا نخلص إلى أنّه قد جعل المتكلم هو الفيصل والقطب الأول في نصوصه المحللة، لأنّ المتكلم هو سيد الفكرة والذي يقوم بصياغتها وتركيبها في صيغة نحوية منظمة ؛أي إنّه يجعلها في نسق كلامي محسوس بعد أن كانت تصورات ومفاهيم محددة وذلك عن طريق الأداة اللّسانية المتمثلة في اللّغة، إلى المخاطب ليثير انتباهه لفك شفرات النص ومعرفة القصد من الكلام، والمزية من لجوء المخاطب لهذا العدول والذي أكسب الخطاب جمالا فنيا وبلاغيا لا يتأتى إذا ظهر المحذوف .[21]

2 -**مقصدية حذف المفعول به:**

تطرق عبد القاهر الجرجاني إلى المسألة الثانية بعد حديثه عن حذف المبتدأ والتي تتمثل في حذف المفعول به، وقد أولى له أهمية كبيرة، وأشبع به حذفه، وذلك لما لهذا الحذف من مزايا ولطائف يستشعرها صاحب الذوق الرفيع، قال الجرجاني: « وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ، وهو حذف اسم، إذ لا يكون المبتدأ إلا اسما، فإني أتبع ذلك بذكر المفعول به إذا حذف خصوصا فإنّ الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن بصدده أخص واللّطائف كأنّها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر».[22]

وقد ذكر الجرجاني مقاصد عدة وأغراض متنوعة من خلالها نحذف فقد يكون الغرض الاقتصار على إثبات معاني الأفعال من غير تعرض لذكر المفعولين فيكون الفعل المتعدي شبيها باللازم مثلا في أنّك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا، ومثال ذلك قول الناس: فلان يحل ويعقد،

ويأمر وينهى، ويضر وينفع، وكقولهم: هو يعطي ويجزل، ويقري ويضيف، المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول.[23]

ومن الشواهد القرآنية التي أوردها الجرجاني عن هذا العدول قوله تعالى في سورة الزمر ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 09].

ومعنى هذه الآية: «هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غير أن يقصد النص على معلوم»[24]فهيئة السؤال تدفع المخاطَب إلى معرفة المستوى الذي يكون عليه العاقل و الجاهل، فقد تم حذف المفعول به، وكان القصد من ذلك إثبات معنى الفعل في نفس المخاطَب من غير النظر إلى درجة العلم (المفعول) التي لم يرم السياق القرآني إلى تحديدها، لأنّ القول لا يهدف إلى التركيز على طبيعة العلوم أو تفاضلها بل يقتصر على بيان منزلة العلماء عموما وتميزهم عن الجهلاء . وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: 43- 44]

فالقصد هنا إرادة إثبات معنى هذه الأفعال: الإحياء والإماتة، الإضحاك والإبكاء لله تعالى، لذا كان حذف المفعول به في غاية اللّطف والحسن من ذكره، وبهذا يكون قد أدى القصد على العكس لو عدّيت الفعل وذكرت مفعوله لأنّ تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى.

فالجرجاني هنا قد ربط بين الأنماط الخطابية التي انتقاها وحللها بالقصد، وحتى يصل المتلقي إلى هذا القصد من خلال تلك الأبنية المعدولة يشترط أن تكون لدى المتلقي خلفية معرفية مفادها أنّ الفعل المتعدي إذا خلا عن مفعوله بمعنى ألا يكون له مفعول يمكن النص عليه كان الغرض من ذلك إثبات معنى الفعل .

فمعرفة المتلقي سبب هذا الانزياح عن الذكر إلى الحذف تعينه في عملية تأويل الملفوظ؛ لأنّ التأويل الصحيح يعتمد في الأساس على نوعية التراكيب وما يتخللها من حذف أو ذكر، تقديم أو تأخير، فصل أو وصل، وربطها بسياقها المقامي.

ولقد ركز عبد القاهر الجرجاني على بيان المواقف الخطابية القائمة بين المتكلم والمخاطَب والغرض الذي يقتضيه من الحذف بدليل قوله: « وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلاّ منه، أو لا يكون منه، فإنّ الفعل لا يعدّى هناك، لأنّ تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى»[25]. وهناك نوع من المفعول يحذف من اللّفظ لدليل الحال عليه؛ أي أنّ يحذف المفعول من الكلام إلا أنّه يفهم من خلال ورود الفعل في هذا السياق، ويتضمن هذا القسم نوعين.[26]

-**جلي لا صنعة فيه**: نحو قولنا: **(أصغيت إليه)**، وهم يريدون **(أذني)**وهي مفعول به ولكن حذف من هذا السياق، ورغم ذلك فهو سهل الإدراك لأنّ الإصغاء لا يكون إلا بالأذن. وكذلك قولنا **(أغضيت عليهم)** والمعنى **(جفني)**.

– **خفي تدخله الصنعة**: وهذا عكس الأول ؛أي إنّ المحذوف فيه يحتاج إلى التفكير والدقة في التحليل والتأويل، والداعي إلى هذا هو أنّ دلالة المفعول المحذوف غير متضمنة في صيغة الفعل وبذلك تختلف دلالته باختلاف السياقات اللّغوية بناء على قصد المتكلم، وبهذا يستفيد المؤول من تلك في تحديد صياغات معينة لأغراض محددة، كما يستفيد المتكلم من ذلك في وضع نظم معين عند إرادته إيصال فكرة ما.

وفي هذا النوع «منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجري ذكره أو دليل حال إلا أنّك تنسيه نفسك وتخفيه وتوهم أنّك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء أو تعرض فيه لمفعول » ([27]).

والذي قصده الجرجاني فيما قال هو أنّ المتكلم عند نظمه استخدم فعلا متعديا وخصه بمفعول محدد إلا أنّه عدل عن ذكره إلى حذفه مشيرا إلى ذلك بإحدى القرائن اللّغوية أو غير اللّغوية، والقصد من ذلك حمل المخاطب على التفكير والاهتداء إلى ذلك المخفي الذي ضمنه المتكلم في كلامه ومعرفته. ومثال ذلك قول البحتري: [(28)]

شَجْوُ حُسّادِهِ وغَيْظُ عِداهُ * أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمعَ واعِ**

في هذا البيت يمدح الشاعر الخليفة المعتز ويعرض بالخليفة المستعين، فنظرا لمحاسنه وفضائله تمنى أن يرى مبصر هذه المحاسن، ويسمع واع أخباره وأوصافه حتى يعلم أنّ المستحق للخلافة، والوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مرتبتها هو الخليفة المعتز، وهذا هو المعنى الظاهر استنادا إلى السياق الذي أورده الشاعر فيه، إلا أنّه في حقيقة الأمر يتجاوز هذا المعنى، فقد قصد أنّ حساد الخليفة المعتز مبتغاهم وراء هذا الغيظ أن لا يكون في الدنيا من يبصر فيرى هذه المحاسن ومن يسمع فيعي أخباره ومحاسنه.[(29)]

والمتمعن في هذا التحليل الذي وضعه عبد القاهر الجرجاني لبيت البحتري يظهر أهمية النظر إلى السياق الذي أنجز فيه القول، من أجل الوصول إلى القصد المناسب، واكتشاف المضمر من القول، فانطلاقا من كونه خطاب مدح **(البحتري في مقام مدح المعتز)** يمكن رسم الواجهة الخلفية من القول، وهذا ما قام به عبد القاهر الجرجاني، بمراعاته لقصد المتكلم من أجل إثبات الحجة من القول ؛ فإثارة المتكلم لفكر المخاطب واستجابة الأخير للخطاب يشكل الموقف الخارجي.[30] هذا إذن النوع الأول **(ذكر الفعل وفي النفس له مفعول مخصوص قد علم مكانه إما لجري ذكر أو دليل حال)**من القسم الثاني **(وهو الخفي الذي دخلته الصنعة)**.

أما النوع الثاني« وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده، قد علم أنّه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنّك تطرحه وتتناساه

وتدعه يلزم ضمير النفس، لغرض غير الذي مضى، ، وذلك الغرض أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه ومثاله قول عمرو بن معد يكرب ».[31]

فلو أنّ قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت**

ففي عجز البيت عدل الشاعر عن ذكر مفعول(**أجرت**)وتقدير الكلام **(ولكن الرماح أجرتني)**، ومفعول هذا الفعل المتعدي **(ضير متكلم)** حتمي لأنّه لا يتصور أن يكون هاهنا شيء آخر يتعدى إليه، وفي حذفه بلاغة لأنّه يتطابق وقصد الشاعر الذي هو إثبات أنّ من الرماح قطع للألسن وحبس لها عن النطق، ولو ذكره لتناقض مع الغرض، ولا كان المعنى واضحا عند المخاطب هو أنّ الشاعر قصد أن يبين أنّها أجرته.

فالحذف في هذا المقام أنسب لإبلاغ القصد الذي يريده المتكلم وهو إثبات الفعل للفاعل دون تدخل المفعول به، وتجريد الخطاب من هذا العدول سيؤدي إلى خلل في المعنى، وهذا يدل على أنّ العملية التخاطبية متعلقة في أساسها بما يرمي إليه المتكلم من معان تتجاوز المعنى الظاهر إلى معان خفية ينشئها بحسب المقاصد.

وقد أضاف الجرجاني نوعا آخر من أنواع الحذف وهو **"الإضمار على شريطة التفسير"** حيث يقول: «وهذا نوع منه آخر: اعلم أنّ هاهنا بابا من الإضمار والحذف يسمى الإضمار على شريطة التفسير، وذلك مثل قولهم: "**أكرمني وأكرمت عبد الله** "، أردت: "**أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله**"، ثم تركت ذكره في الأول استغناء بذكره في الثاني، فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر، وشيء لا يعبأ به، ويظن أنّه ليس فيه أكثر مما تريك الأمثلة المذكورة منه »[32]

وهذا النوع من الإضمار نلمسه في كلام الفحول الذي يدل على مدى كفاءتهم اللّغوية العالية في صياغة وتشكيل تراكيب لغوية تتماشى مع مقاصدهم ذات فوائد جليلة ولطائف عديدة، وأثر تطيب له النفس، ولذلك يقول الجرجاني: «وفيه إذا الشيء من معدنه من دقيق الصنعة ومن جليل الفائدة مالا تجده إلا في كلام الفحول ».[33]

فمن لطيف ذلك ونادره قول البحتري: [34]

لَوْ شِئتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ* كَرَمًا، وَلَمْ تَهْدِمْ مَآثِرَ خَالِدِ**

«فالأصل لا محالة: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه، ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة، وهو على ما ذكرت لك من أنّ الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللّفظ، فليس يخفى أنّك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت: **" لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها "**، صرت إلى كلام غث، وإلى شيء يمجه السمع، وتعافه النفس. وذلك أنّ في البيان، إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له، أبدا لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك ».[35]

يتضح من خلال تحليل عبد القاهر الجرجاني لهذا البيت، وتحديد مواضع الحذف فيه، وبيان وجه البلاغة فيه أهمية السياق الذي يرد فيه القول، والذي تم فيه وقوع الإضمار، لأنّه يعين المخاطب على إدراك قصد المخاطب، إضافة إلى كفاءته اللّغوية والتي تتمثل في معرفة القواعد ومقامات استعمالها كأن يعلم أنّ هناك من الأفعال لا تكتفي بفاعلها فقط وإنّما تتجاوز ذلك لأن يكون هناك مفعول في التركيب وهذا هو الأصل،

وأما إذا حصل في ذلك عدول فحتما هناك ما يفسره داخل السياق، وهذا كله في سبيل الكشف عن المعنى الخفي المقصود من جهة، ومعرفة بلاغة وجمال هذا الكلام من جهة أخرى.

وكما رأينا النماذج الواقع فيها انزياح والمتمثلة في حذف المفعول به، والتي كان فيها هذا الحذف مناسبا لقصد المتكلم، وأضفى على الكلام بعدا جماليا إلا أنّه هذا لا يعني أنّ الأصل في الكلام وهو الذكر لا يتوافق مع قصد المتكلم ويتناقض مع المعنى لأنّ هناك مواقف يكون فيها الذكر أبلغ وألطف وأحسن وأجود من الحذف، وهذا بدليل قول الشاعر في أبياته:(36)

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمًا لَبَكَيتُهُ * عَلَيْهِ، وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَبْرِ أَوْسَعُ**

فذكر المفعول الوارد لفعل المشيئة يتلاءم مع القصد المراد إيصاله إلى مخاطبه، ومما هو ملاحظ على هذا الذكر أنّه لم يكن أمرا عاديا ؛ أي إنّه أمر عجيب وبديع ؛لأنّ الإنسان إذا أراد أن يبكي فإنّه لا يبكي إلا دمعا لا دما، وجنوح الشاعر لهذا النظم بذكر المفعول ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به.

وبهذا يكون عبد القاهر الجرجاني قد أوضح من خلال عرضه للنماذج التي مثل بها عنصر الذكر مدى فاعلية الاستقامة النحوية ومراعاتها في نظم الكلام ودورها في إثبات المعنى المراد، وتحقيق القصد وبالتالي نجاح العملية التخاطبية.

خاتمة:

ومما نخلص إليه أخيرا من خلال عرضنا للموضوع هو كالآتي:

-يخضع الحذف والذكر لأي عنصر من عناصر الجملة عند عبد القاهر الجرجاني إلى مقاصد المرسل .

-لقد أعطى عبد القاهر الجرجاني لأقطاب التواصل (المتكلم، المتلقي، النص) أهمية كبيرة ولم يغفل أي عنصر من عناصرها، فالمتكلم هو سيد الفكرة وهو الذي ينسج تراكيبه مستندا في ذلك على قصده، والمتلقي يشرع في فهمه لغرض المتكلم انطلاقا من النظم الذي هو في أصله مقاصد المتكلم متمثلة في شبكة علائقية من العلامات اللّغوية.

-اشترط عبد القاهر الجرجاني على المتلقي (المؤول) أن يمتلك كفاءة لغوية واسعة لخوض غمار التأويل والوصول إلى المقصد الذي أراده صاحب النص.

-لقد جعل عبد القاهر الجرجاني قصد المتكلم هو الذي يتحكم في المعنى وبالتالي هو المتحكم في الخطاب ككل.

- أعطى عبد القاهر الجرجاني أهمية بالغة للسياق الذي يرد فيه القول، من أجل التأويل المناسب، واكتشاف المضمر من القول.

مراجع البحث وإحالاته:

1- ينظر: الحسان شهيد، الخطاب المقاصدي المعاصر (مراجعة وتقويم)، مركز الإنماء، بيروت، لبنان، ط1، 2013 م، ص: 35.

2- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية (دم)، ط4، 2004م، ص: 738.

3- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، مج: 09، ص: 353.

4- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (دم)، (د ط)، 1979م، مج: 05، ص: 95.

5- المصدر نفسه، مج: 5، ص: 95، 96.

6- الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ج: 2، ص: 525.

7- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج: 02، ص: 81.

8- ينظر: هشام صويلح، القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام جون سورل نموذجا، مجلة تاريخ العلوم، العدد8، جوان 2017م، ج: 2، ص: .133.

9-.جون سورل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006م، ص: 151.

10- جون سورل، القصدية بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص: 21.

11-.بوصوار صورية، مقاصد التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز، مجلة كلية الآداب واللّغات، العدد16، ديسمبر 2014م، ص: 88.

12- حامدة تاقبايت، البلاغة والتداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار الأمل، الجزائر، (دط)، (دت)، ص: 194، 195.

13-المصدر نفسه، ص: 195.

14-ينظر: بيان شاكر جمعه، مهند حمد شبيب، قراءة في نظرية النظم، مجلة الأنبا للعلوم الإسلامية، العدد 1، 2009 م، مج: 1، ص: 262.

15- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2016م، ص: 100.

16- شاكر جمعه، مهند حمد شبيب، قراءة في نظرية النظم، ص: 264، 265.

17- المصدر السابق، ص: 100..

18- حامدة تقبايت، البلاغة و التداولية في كتاب دلائل الاعجاز، ص198.

19- الجرجاني، دلائل الأعجاز في علم المعاني: ص: 104.

20- المصدر نفسه، ص: 104.

21- ينظر: حامدة تاقبايت، البلاغة والتداولية، ص: 197.

22-الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 105.

23- ينظر: المصدر نفسه، ص: 105.

24- المصدر نفسه، ص: 105.

25-المصدر نفسه، ص106.

26- ينظر: عبد الرحمان إكيدر، التعليق عند عبد القاهر الجرجاني دراسة في التماسك النصي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2018م، ص: 206_208.

27- الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 106.

28- البحتري، ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، (دم)، ط3، (دت)، ص: 1244.

29- ينظر: المصدر السابق، ص: 107.

30-ينظر: حامدة تقبايت، البلاغة و التداولية في كتاب دلائل الاعجاز، ص: 201.

31- الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 107.

32- المصدر نفسه، ص: 110.

33-.المصدر نفسه، ص: 110.

34-.البحتري، ديوان البحتري، ص: 508.

35-: الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص: 111.

36-: المصدر نفسه، ص: 111.